محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر العربي الحديث

هذا هو عنوان كتابي (أكثر من ستمئة صفحة) الذي صدر عن دار الوفاء بالمنصورة في عام ١٩٨٧، أي قبل خمسة عشر عاما تقريبا، وقد رأيت العنوان نفسه يتصدر مجلة الأدب الإسلامي (العدد ٣٧) ليتضمن مقالا لصديقي القديم الأديب الشاعر «حكمت صالح» من العراق الشقيق . في البداية تصورت أن المقال يعرض لكتابي أو يتناوله بالنقد والتقديم، وشملني شعور بالغبطة لأن صديقا كريما يتناول أحد كتبي في صفحات طوال من مجلتنا الغراء، ولكن صدمتي كانت كبيرة، حين رأيت المقال يخلو من أية إشارة إلى كتابي الذي تناولته الصحف والدوريات الأدبية على امتداد العالم العربي، مذ كان رسالة دكتوراه مخطوطة حتى تم طبعه في كتاب يوزع على الناس، ومن الصحف والمجلات التي تناولته : الأهرام، الأخبار، الجمهورية، المساء، أكتوبر، المشكاة، الأدب الإسلامي، المجتمع، المدينة المنورة، الندوة، الجزيرة، الدعوة، الاعتصام، وغيرها.

ومع ذلك فإني ألتمس العذر لأخي « حكمت صالح» : بسبب الظروف التي مر بها العراق في السنوات الماضية، وجعلت من الاتصال والتواصل مع الأدباء العراقيين أمرا غير منتظم، وأقصد بالأدباء العراقيين الذين ظلوا في بلادهم ولم يغادروها، ولعل ذلك كان من وراء عدم اطلاعه على كتابي، وتكراره لبعض ما ورد فيه حول «كتاب» فاروق خورشيد، وأحمد كمال زكي، الذي تناولته ضمن مجموعة أخرى من الكتب النثرية التي اهتمت بشخصية النبي الكريم ﷺ – ونظرت إلى شخصيته من جوانب مختلفة في أطر مختلفة

كيف هو الرسول ﷺ؟ وماذا كان عندهم؟
إلى أي مدى استطاعت أدواتهم الفنية ان تعرض لشخصيته؟، وكيف أقاموا بناء هم الفني ذاك، والى أي مدى التزموا الصدق الفني الذي يعنينا؟ من أجل هذا كتبنا هذه الصفحات...
يتكون كتاب محمد ﷺ في الأدب المعاصر[1] من مقدمة وقسمين، في القسم الأول يتحدث الكاتب فاروق خورشيد عن (محمد ﷺ في النثر)، وفي القسم الثاني يتحدث الدكتور أحمد كمال زكي عن محمد ﷺ في الشعر. وهو مادة بحثنا في هذا المقام
وجاء في (المقدمة)[2] : وعلى هذا الصعيد الفسيح
الكتاب والشعراء[3] حين يعرضون لهذا التراث
الزاخر في كتاباتهم فإنهم يدعوننا إلى أن نسهم
بأمانة، وأن نحـ
صدق...

بقلم: د. حلمي القاعود
مصر

لا أزعم بالطبع – أننا (حكمت وأنا) قلنا كلاما واحدا حول كتاب فاروق خورشيد وأحمد كمال زكي، ولكني أزعم أن المضمون متقارب أو غير متباعد مع تميز كل مضمون عن الآخر، وإن كنت في كل الأحوال قد أوضحت التصور الذي ينطلق منه الذين كتبوا نثرا أو شعرا عن محمد ﷺ – فهناك من تعاملوا مع النبي الكريم ﷺ من منظور قومي، وهناك من رأوا فيه ظاهرة إنسانية مبتورة عن

الوحي، وهناك من أعجبوا به بوصفه رمزا للبطولة والقيادة المؤثرة ... وهناك غيرهم، بالإضافة إلى الأغلبية التي رأت فيه النبي الإنسان الذي أوحي إليه، وهي الرؤية الصائبة، حيث أن أصحاب الرؤى الأخرى لم تكن تعنيهم قضية الوحي أساسا، لأنها تلزمهم الإيمان به نبيا رسولا.

لقد دار الكتاب في معظمه حول القضايا الفنية التي أنتجها الشعر الذي نظمه الشعراء العرب -حول محمد ﷺ - وكان هناك نوعان من الشعر، شعر يدافع عنه ﷺ - وشعر يدافع به، واتبع الشعراء طرقا شتى في التعبير عن الشخصية المحمدية، فمن الطريقة المباشرة، أي النظم المباشر الذي يرصد السيرة النبوية وأحداثها، إلى الشعر الذي قاله الصوفية وعبروا فيه عن نظرية «النور المحمدي» ومرادفاته، إلى شعراء الشيعة الذين رأوا فيه الجوانب التي ترفد مذهبهم بالعديد من القيم، إلى شعراء التجديد المعاصر الذين اتخذوا في الأغلب من شعر التفعيلة وعاء لرؤيتهم، حيث تحول النبي ﷺ - إلى رمز للنصر والفتح ومواجهة الظلم والاستبداد .. ومن خلال البناء الدرامي أو الحواري أو القصصي بصفة عامة رأينا إضافة جديدة إلى الشعر الذي دار حول الشخصية المحمدية.

لقد كان عليّ أن أتعرض للمحاولات الفنية التي هدفت إلى إبراز صورة الشخصية المحمدية من خلال المطولات والملاحم والقصيد السمفوني، وهي محاولات حققت في معظمها نجاحا فنيا ملحوظا، أثرى الديوان الشعري الذي دار حول رسولنا الكريم ﷺ .

بالطبع لم أغفل الموقف المعادي الذي اتخذه الشعراء اليساريون - أو الحداثيون كما تسميهم بعض البلاد العربية - من الشخصية المحمدية، حيث تجاهلوها، وتجاهلوا معطياتها، أو حاولوا غمزها من خلال بعض الإشارات العدائية في بعض إنتاجهم، هذا الموقف المعادي، جاء في مقابلة موقف آخر أكثر إنصافا لرسول الإسلام ونبيه ﷺ - وهو موقف معظم الشعراء العرب النصارى، الذين أشادوا بالنبي وأخلاقه وقيمه ومواقفه في إطار التصور الذي نظروا به إليه، وقد لفت هذا الموقف اهتمام من طالعوا الكتاب واستوعبوه.

لقد استطردت في الحديث عن الكتاب الذي اتخذ أخي حكمت صالح عنوانه عنوانا لمقالته، وبدا الأمر، كأن أحدا لم يتطرق إلى الموضوع من قبله، في حين أنني بعد الجهد الذي بذلته في الكتاب ألحقت به قائمة أولية تضم مئات القصائد المفردة التي نظمها الشعراء حول محمد ﷺ وكانت قاعدة الانطلاق في الدراسة الفنية النقدية، ومع ذلك فوجئت بعدم الإشارة إلى كتابي، ولو من باب التنويه!

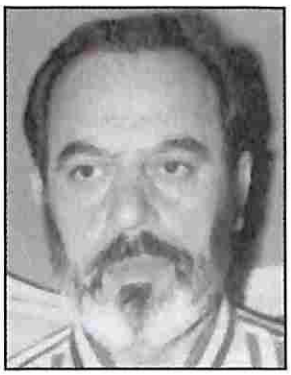
حكمت صالح

في عدد سابق من «الأدب الإسلامي » الغراء، نشر أحد الكتاب قائمة (بيبلوجرافيا) بالرسائل الجامعية التي دارت في مجال الأدب الإسلامي، وأهمل الإشارة أيضا إلى كتابي، مع أنه رسالة جامعية موجودة في سجلات كلية دار العلوم ومكتبتها ومكتبة جامعة القاهرة المركزية . ولم يلتفت الباحث إلى ما دونه الدكتور «عبدالباسط بدر» من معلومات في كتابه « دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث» الذي ضم قائمة طويلة حول الأعمال الأدبية الإسلامية في شتى الفروع، وهو ما يجعلني مضطرا إلى الإشارة إلى العديد من الكتب والدراسات والمقالات التي كتبتها، فضلا عن رواية ومجموعتين قصصيتين دارتا في إطار التصور الإسلامي، ولعلي أول من أصدر كتابا عن الرواية الإسلامية المعاصرة، وكتابا عن الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، وكتابا عن القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث، غير الكتب المتوقع نشرها إذا شاء الله تعالى وأعان.

ولعلي بما كتبت لا أنتصف لنفسي، بقدر ما أسجل حقيقة تهم الباحثين والكتاب والشعراء في مجال الأدب الإسلامي، وأستعيد زمان الوصل مع الصديق «حكمت صالح» الذي عرفني به أخي الحبيب عماد الدين خليل، حفظه الله ورعاه.■